الأهرام
مركز الأهرام للتنظيم وتكنولوجيا المعلومات
المصدر: صوت الامة
التاريخ: ٢٠٠٣/٦/٢٩

منعت كتب السادات من النشر!

تولى أنور السادات منصب رئاسة الجمهورية بعد وفاة جمال عبدالناصر فى الظروف التى نعرفها جميعا.. وكنت وقتها رئيسا لمجلس إدارة دار الهلال واكتفيت بأن أرسل له برقية تهنئة وتأييد بمناسبة انتخابه رئيسا للجمهورية وكنت وقتها منتخبا رئيسا لاتحاد الصحفيين العرب وجاء إلى القاهرة وفد من الصحفيين العرب من شتى الأقطار للتعزية فى وفاة الرئيس جمال عبدالناصر وتهنئة الرئيس السادات. وكان الرئيس السادات فى تلك الفترة الأولى يقيم فى قصر الطاهرة وصحبت وفد الصحفيين العرب إلى بيت جمال عبدالناصر حيث قمنا بتعزية السيدة قرينته، ثم ذهبنا إلى قصر الطاهرة حيث قابلنا الرئيس السادات وقدمت له الصحفيين العرب وقدمنا له التهنئة والتأييد.

وذات يوم فى الأسابيع الأولى لرئاسته جاءنى زميلى فى دار الهلال الأستاذ رجاء النقاش الذى كان يرأس تحرير مجلة الهلال وكتاب الهلال وقال لى: إن دار الهلال قد سبق أن طبعت فى سلسلة كتاب الهلال أربعة كتب بقلم أنور السادات منها كتاب بعنوان «ياولدى هذا عمك جمال» وكتاب «قصة الثورة كاملة» وكتابان آخران يضمان مقالات أنور السادات التى سبق أن كتبها فى جريدة الجمهورية. واقترح رجاء النقاش أن نعيد طبع هذه الكتب فورا بمناسبة انتخاب أنور السادات رئيسا، لأن هذه الكتب فى تلك الفترة لابد أن تلقى رواجا كبيرا.

وطلبت إلى رجاء النقاش أن يترك لى الكتب الأربعة لألقى عليها نظرة جديدة وبالفعل راجعت الكتب الأربعة التى سبق لى -طبعا- أن قرأتها من قبل فوجدت فيها مقالات كثيرة كتبها أنور السادات فى ظروف مختلفة خصوصا خلال العدوان الثلاثى على مصر سنة ١٩٥٦ عقب تأميم القناة، وكانت مقالات تسب انجلترا وفرنسا سبا شديدا مقذعا وأشياء أخرى من هذا النوع . رأيت أنه من غير المناسب اعادة طبعها كما هى بعد خمسة عشر عاما وقد أصبح كاتبها رئيسا للدولة وفيها ما فيها من هجوم عنيف على انجلترا وفرنسا وأمريكا.. ألخ.

وبعد أيام قليلة دق جرس التليفون فى منزلى ذات ليلة وكان المتكلم هو الرئيس الجديد أنور السادات وبعد تحية قصيرة عاتبنى على أننى لا أراه وقلت له سيادتك تعرف شعورى وأنا أجد حرجا فى الاتصال بك وأنت فى دوامة عنيفة من المسئوليات والزوار من أنحاء العالم واعتقد أن سيادتك سوف تطلبنى إذا أردت منى أى شىء.

وقال السادات إنه سمع أننا فى دار الهلال سنعيد طباعة كتبه المذكورة وأننى متردد وهو لايرى مانعا فى إعادة نشر هذه الكتب وقلت له: إننى قرأت الكتب من جديد وأعطيته فكرة عن بعض ما فيها مما لايجوز إعادة نشره وقد أصبح رئيسا للدولة ونحن فى ظرف نحسن فيه علاقاتنا بالدول الأخرى ولذلك اتجه تفكيرى إلى أن نصدر كتابا واحدا، يضم أهم ما فى الكتب الأربعة ونستبعد منه ما لايجوز إعادة نشره، ويكون كتابا كبيرا بعنوان «من كتابات أنور السادات».

وشكرنى الرئيس السادات بحرارة على أننى نبهته إلى ذلك ووافق على الاقتراح الجديد بل إنه أصبح بعدما قلته له أكثر حرصا منى وقال لى: عظيم! وأرى بعد ذلك أن تنتقى من الكتب ما تراه صالحا للنشر وأن نراجعه معا ذات ليلة وسوف اتصل بك لهذا الغرض عندما أجد الوقت.

لم يكن فى هذا الحديث ما يلفت النظر ولكننى بعد أن وضعت سماعة التليفون تنبهت إلى أنه لم يمض على اقتراح طبع الكتب إلا أيام قليلة وتعجبت كيف يأتى وصل الخبر بهذه السرعة من دار الهلال إلى رئيس الجمهورية؟!.

كنت أعرف أن السادات له أصدقاء فى كثير من الصحف، خصوصا فى دار الهلال حيث عمل محررا لبضعة شهور حين كان ضابطا مطرودا من الجيش ثم تذكرت فجأة أن له اختا هى السيدة سكينة السادات تعمل معنا فى دار الهلال، إذن لابد أن يكون هذا هو مصدر معرفته السريعة بحكاية بسيطة.

وتذكرت أن السيدة سكينة السادات التى كانت على علاقة طيبة بى خلال عملى رئيسا لدار الهلال قد جاءتنى فى اليوم التالى مباشرة لإعلان انتخاب أنور السادات رئيسا للجمهورية وقدمت لى طلبا أن أعينها مديرة لتحرير مجلة المصور وقلت لها وقتها بروح طيبة إننى أعلم أنه وقد أصبح أخوك رئيسا للجمهورية فمن طبائع الأمور أن ينعكس هذا على وضعك بصورة أو بأخرى.. اقترح أن تتركى هذا لى فى الوقت المناسب ولكن من المستحيل أن أعينك مديرة لتحرير مجلة المصور واتخطى الزملاء الأقدم منك والذين يرأسونك فى العمل وأنت دون شهادة جامعية، وأن يتم هذا فى اليوم التالى لانتخاب أخيك رئيسا للجمهورية. ودهشت حين وجدتها لا تقبل هذا المنطق البسيط وإنما تجادلنى طويلا فى إلحاح على طلبها.

ووصلت إلى حد البكاء متهمة إياى، بأننى لم انصفها أبدا، وطيبت خاطرها وقلت لها تأكدى أننى أعرف مصلحتك أكثر منك. وما تطالبين به يسىء إلى أنور السادات.

وجاءتنى السيدة أمينة السعيد يوما وهى ترتجف من الغضب وقالت لى إن تصرفات سكينة السادات صارت لاتطاق وأنها تجلس فى اجتماعات التحرير بين أعضاء أسرة مجلة حواء وتقاطع المناقشة العادية أكثر من مرة وتقول :«أبيه أنور رأيه كذا وكيت».

واستدعيت السيدة سكينة السادات ورويت لها ما يتحدث به زملاؤها وقلت لها: «أبيه أنور» اسمه فى دار الهلال الرئيس أنور السادات والرئيس أنور السادات لايرسل بتعليماته عن طريقك، ولكنه إذا كان لديه تعليمات فإنه سيبلغها للدار عن طريقى كرئيس لمجلس الإدارة، وأنت تعرفين علاقتى بالرئيس، إذا

تكرر هذا منك فإننى لن أفعل إلا أن اشكوك إلى الرئيس شخصيا، وتوتر الموقف بيننا ذلك اليوم إلى الدرجة التى جعلتنى أقول لها: أرجو ألا أراك فى مكتبى هذا بعد الآن ولا تضطرينى إلى أن اعطى تعليمات للسكرتارية بمنعك من الدخول فتخرج هذه الحكاية إلى المؤسسة كلها.

وبعد بضعة أسابيع اتصل بى السيد ضياء الدين داود الذى كان فى ذلك الوقت عضوا فى اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى وطلب إلىّ أن أمر عليه فى مكتبه لأمر مهم.. وكانت هذه أول مرة اتعرف فيها شخصيا على السيد ضياء الدين داود، وقدم لى خطابا مكتوبا على الآلة الكاتبة وعليه توقيع أنور السادات بخط يده.. الخطاب الموجه للسيد ضياء الدين داود يقول إن الرئيس علم أننى منحت اختى السيدة سكينة السادات علاوة قدرها أربعون جنيها فى الشهر دون مبرر، وأنه سمع أننى فعلت هذا لأسىء إلى الرئيس وأؤلب عليه العاملين فى دار الهلال ثم يطلب الخطاب إلى السيد ضياء الدين داود أن يسألنى فى هذا الموضوع.

كان هذا الخطاب مفاجأة تامة بالنسبة لى لعدة أسباب:

فقد كنت متصورا أن العلاقة التى بين أنور السادات وبينى تسمح بأن يرفع التليفون ويسألنى مباشرة أو يلومنى على أن تصرف يصل إلى سمعه دون حاجة إلى هذا الخطاب الرسمى الذى يكاد يكون طلبا للتحقيق معى ثم أن الموضوع خاص بالسيدة اختى وبالتالى فمن السهل عليه أيضا أن يعرف الحقيقة من اختى بدلا من أن يكتب فيه خطابا رسميا إلى عضو اللجنة التنفيذية العليا للاتحاد الاشتراكى ذلك أن ما جاء فى خطاب السادات لم يكن له أى أساس من الصحة.

قلت ذلك للسيد ضياء الدين داود وقلت له إنه فى آخر حركة علاوات فى دار الهلال نالت السيدة سكينة السادات الحد الأدنى من العلاوة وهو خمسة جنيهات ولم تكن دهشته أقل من دهشتى. وكتب السيد ضياء الدين داود ذلك بخط يده على نفس الخطاب.

وعدت إلى مكتبى وقد بدأت تتضح لى أمور كنت اتجاوزها بسرعة مفتقدا أن علاقتى الشخصية السابقة بالرئيس السادات تحمينى عنده من الوشايات الصغيرة والدسائس التى تملأ الحياة فى الصحافة لأن تلك العلاقة تجعل الأمر الطبيعى هو أن يتصل بى مباشرة فى أى موضوع.

حزب فى دار الهلال

وكان قد تكون فى دار الهلال «حزب صغير» رأى فى تغيير رئاسة الدولة فرصة للوصول وكان قادة هذا الحزب هم: الشاعر والأديب المرحوم صالح جودت والصحفى المرحوم إبراهيم البعثى والزميل الذى هاجر بعد ذلك إلى كندا الأستاذ شريف فام والسيدة سكينة السادات.

شعرت على الفور أنه قد أصبح بينى وبين السادات بحر واسع.. هل هذا ما تفعله السلطة وجماعات المنافقين بالعلاقات الوطيدة بهذه السرعة؟

وبدأت اتنبه وأنا أمارس عملى العادى فى رئاسة تحرير المصور فى مراجعة المقالات بعد أن تصبح «بروفات» إلى أشياء أراها عادية وأقوم بحذفها إذا كان فيها تجاوز ما.

وكان المرحوم صالح جودت يصف فى مقالاته كل الكتاب الذين لا يحبهم بأنهم شيوعيون حمر. بمن فيهم زملاء يكتبون معه فى نفس مجلة المصور واستدعيته يوما وقلت له: إننى إذا سمحت لك بأن تكتب على صفحات المجلة تتهم زملاءك بالشيوعية فلابد أن اسمح لهم بأن يردوا عليك ويقولوا لك ياعميل ويسترجعوا أشعارك وأغانيك فى مدح فاروق وبالتالى فأنا لن أسمح لا بهذا ولا بذاك، وحرية الكتابة الموضوعية مطلقة.

حدث هذا من مدة طويلة واستقرت الأمور على ذلك ولكن بعد انتخاب أنور السادات للرئاسة وبعد تلك القصص مع السيدة سكينة السادات لاحظت أن الأستاذ صالح جودت قد عاد إلى مهاجمة الاتحاد السوفييتى بألفاظ وعبارات جارحة دون مناسبة، فى وقت كان أنور السادات والحكم فى مصر يسعى إلى عقد معاهدة مع الاتحاد السوفييتى ضمانا لاستمراره فى امدادنا بالسلاح والمساعدات بعد هزيمة ١٩٦٧ .أو يهاجم زميلا له كالدكتور على الراعى ويتهمه بالشيوعية من خلال قصة لا أساس لها من الصحة عن وقوفه مصفقا ومهللا للاتحاد السوفييتى فى اجتماعات للادباء والكتاب حضرتها بنفسى ولم يحدث فيها شىء من ذلك.

تنبهت إلى أن هذه أمور جديدة والمقصود بها استفزازى أو امتحان شجاعتى فبدأت أحذف من «البروفات» هذا الكلام وعلى غير العادة لا اكتفى بالحذف ولكن اكتب على هامش «البروفة» حيثيات وأسباب الحذف وأوقع عليها بامضائى قبل أن اعيدها إلى مدير التحرير المرحوم الاستاذ مرسى الشافعى..

وقد أبدى لى دهشته مرة وسألنى لماذا اتجشم هذا العناء فى كتابة الحيثيات وقلت له عندى شعور خفى بأن هذه البروفات تذهب بعد ذلك إلى بعض أجهزة الدولة وأنا أريد أن يفهم الذين يفعلون ذلك عن رغبة فى الايقاع أننى مستعد لأن اتحمل مسئولية تقديرى للأمور.

مع هذا الجو فى دار الهلال كانت أزمة ١٥ مايو تتفاعل والصراع بين أنور السادات وخصومه فى اللجنة التنفيذية العليا يشتد. والغريب أننى لم أكن أتابع باهتمام قصة هذا الخلاف متصورا أننى أنأى بنفسى عن أى صراع على السلطة لا أعرف تماما مبرراته. حتى اتخذ هذا الموقف أو ذاك خصوصا أننى اختلفت اختلافا حادا مع الاتحاد الاشتراكى عندما كنت نقيبا للصحفيين ووقعت مظاهرات ١٩٦٨، قررت بعدها الابتعاد تماما عن كل الأجهزة السياسية فى مصر وتلك قصة طويلة أخرى. ووقع انقلاب ١٥ مايو ونجح أنور السادات فى الايقاع بخصومه فى الوزارة واللجنة التنفيذية العليا ووضعهم فى السجن.

ومرة أخرى بدأ صالح جودت وغيره يكتبون ضد الذين وضعوا فى السجن (على صبرى وشعراوى جمعة ومحمد فائق والفريق محمد فوزى وغيرهم) يهاجمونهم بشتائم مقذعة وغير لائقة. ومرة أخرى بدأت أشطب أى كلام يتميز بفحش القول والهجوم الشخصى دون أى نقد موضوعى واكتب على هامش البروفات حيثيات الحذف واوقع عليها بامضائى والمرحوم مرسى الشافعى يضحك من تصوراتى ويقول لى: لو نشرنا البروفات كما هى بالشطب والتعليق لارتفع توزيع المجلة.

وبعد فترة قصيرة امتلأ الجو الصحفى بأخبار عن التغييرات المقبلة فى المناصب والقيادات الصحفية وكان من بينها أننى سوف أنقل من رئاسة مجلس إدارة دار الهلال إلى مؤسسة روزاليوسف وكانت روزاليوسف وقتها تعانى من مشاكل مالية فادحة فالداخل فيها مفقود والخارج منها مولود، رغم أنها مجلتى القديمة العزيزة التى بدأت حياتى الصحفية الجدية فيها، وقبل يومين من إعلان التغييرات جاءنى الزميل فوميل لبيب وقال لى أنه متأكد من أن القرارات الجديدة سوف تشملنى. واستطرد قائلا: إننى دهش من موقفك، أنت تعرف الرئيس جيدا وتعرف أكثر المسئولين وأراك لا تحاول أن تفعل أى شىء وقلت له: «لأننى أعرف الرئيس السادات ولأنه يعرفنى جيدا فإننى لن أفعل أى شىء» ولم يحدث أن طرقت باب أى مسئول لأمر يتصل بشخصى.

وبعد يومين من هذا الحديث قرأت فى الصحف قرارات التغييرات الصحفية ومن بينها نقلى من دار الهلال ونعيينى رئيسا لمؤسسة روزاليوسف.

لو كان هذا القرار قد صدر فى ظروف عادية ربما ما كنت اعترض، وعلاقة عاطفية خاصة تربطنى بمجلة روزاليوسف ومجلة صباح الخير واسرتيهما..

ولكن القرار بدا لى أنه اتخذ من منطلق العقاب والاستجابة إلى الوشايات وأحزننى وأدهشنى أن تتراكم الوشايات عند الرئيس أنور السادات دون أن يحاول مرة واحدة أن يسألنى مباشرة.

قرأت هذه الأخبار فى صحف الصباح واتصلت على الفور بوزير الإعلام فى ذلك الوقت الدكتور عبدالقادر حاتم واتفقت معه على أن أقابله فى مكتبه بمبنى التليفزيون فى الساعة الحادية عشرة.

وذهبت إلى حاتم وقلت له رأيى فى هذا القرار وقلت له إننى جئت لأقدم له اعتذارى عن عدم قبول المنصب الجديد.

ودهش الدكتور عبدالقادر حاتم ولكنه طبعا كان عارفا بكل التفاصيل التى كنت لا اعرفها بالضبط ولكنى اشم رائحتها. وحاول الدكتور حاتم أن يقنعنى بأن عدم تنفيذ مثل هذا القرار هو بمثابة تمرد على إدارة رئيس الجمهورية، والح علىّ فى أن يذهب معى إلى دار روزاليوسف وأن نشرب فنجان قهوة هناك فقط ونخرج وبعد ذلك أفعل ما أشاء فأكون قد نفذت رغبة الرئيس التى لم يحدث أن رفضها أحد.

وطال الجدل بينى وبين الدكتور حاتم وكنت أقول له إننى لا أطالب باعادة النظر فى القرار ولا أطالب باعطائى هذا المنصب أو ذاك، إننى استقيل فقط من منصب لا أريده ولن أحملك مسئوليتى ولكننى سأذهب إلى الصحف المختلفة مصرية وعربية وأبحث لنفسى عن عمل فيها، واستمر الجدل بيننا ساعات وفى لحظة سحبت من على مكتبه ورقة وقلت له: إننى اعفيك من نقل القصة للرئيس وسأكتب أنا إليه بضعة سطور ليس عليك إلا أن تبعث بها إليه.

وكتبت على الورقة رسالة من سطور قليلة إلى الرئيس السادات بدأت بابداء أسفى على أن يحدث ما حدث وأن اقرأه فى الصحف دون علمى. وفى فقرة مازلت اذكرها بحروفها تقريبا كتبت «لقد اخترعت الثورة صحفيين وكتابا ودكاترة فى كل مجال ولكننى لست أحد اختراعات الثورة وقد كنت رئيسا لتحرير أكبر جريدة فى مصر وهى أخبار اليوم واتقاضى أقصى حد للمرتب قبل تأميم الصحف بسنتين. وقد نقلت إلى دار الهلال منفيا فى حقيقة الأمر وبالتالى فإن من حقى أن يؤخذ رأيى فى أى أمر يتصل بى شخصيا فلا اقرأه فى الصحف دون سابق علم ولا اتحرك كقطعة شطرنج من مكان إلى مكان وبلا رغبة».

هذا والدكتور حاتم يمنعنى جسديا من ترك مكتبه، حتى دق تليفون مهم انهمك الدكتور حاتم فى الرد عليه فتسللت من أحد أبواب غرفته وخرجت.. وتوقعت أن يرسل خلفى أحدا عند باب المصعد، وتنبهت إلى أن السفير والصديق تحسين بشير يجلس فى غرفة مكتب امام المصعد تقريبا ففتحت بابه ودخلت وازاء دهشته قلت له: «إننى مختبىء هنا حتى ينصرف الدكتور حاتم من مكتبه».

فى نفس اليوم كان قد اتصل بى مع قراءة الصحف الأستاذ محمد حسنين هيكل اتفقت معه على أن نتناول الغداء معا فى كافيتريا جريدة الأهرام. وأخذ الأستاذ هيكل بالطبع يستجوبنى عن خلفيات هذا القرار ويبدى دهشته من أنه لم يسمع به ولم يتصوره وما هو السبب فى تقديرى؟

ورويت له ما سبق بتفاصيل أكثر وقلت له: «اعتقد أن البروفات التى كنت أحذف واكتب على هامشها لماذا حذفتها كانت تذهب إلى الرئيس أنور السادات».

كما رويت له ما حدث منى فى مكتب الدكتور عبدالقادر حاتم وعند ترديدى لما قلته فى مكتب الدكتور حاتم من أننى سأستقيل فقط وهذا ليس اهانة لأحد، وأنى سأبحث لنفسى وبمعرفتى عن عمل ككاتب فى الصحيفة التى تقبلنى. سألنى الأستاذ هيكل على الفور طيب هل تقبل أن تعمل فى الأهرام؟ وكان الاستاذ هيكل يعرض على العمل فى الأهرام من سنوات سابقة.. وكنت اعتذر فقلت له ضاحكا هذه المرة ليس أمامى إلا القبول.

وبعد يومين عرفت من الأستاذ هيكل انه أخذ سيارته فى الصباح التالى لحديثنا وذهب إلى الرئيس السادات وحرمه السيدة جيهان والفريق أحمد إسماعيل وزوجته.

وروى الاستاذ هيكل لى أنه سأل الرئيس السادات فورا عن هذا القرار وعن مبرراته وقال له الرئيس السادات: «أنت تعرف

مشاكل مؤسسة روز اليوسف وأحمد بهاء الدين يعرفها اكثر من سواه، ولم يخطر لى أن يكون هذا عقابا».

وقال له الأستاذ هيكل: إن بهاء يعتقد غير ذلك ويعتقد أن هذا القرار له شكل العقاب لأسباب أخرى، وسأل السادات اى أسباب؟ فقال له هيكل: بروفات دار الهلال التى كان يحذف منها ويكتب عليها تعليقا بإمضائه.

وسكت السادات (مازالت الرواية للأستاذ هيكل) سكوت المدهوش من معرفتى بهذه الحقيقة وقال لهيكل: «لم أكن اتصور أن شخصا فى حجم أحمد بهاء الدين يتلقى تعليماته من ضياء الدين داود (كان السيد ضياء الدين داود من بين الذين اعتقلوا فى ١٥ مايو ولم أكن قد رأيته إلا فى المرة الوحيدة سالفة الذكر) خصوصا أننى أعرف أنه عنيد ولا يقبل توجيها من أحد.

وروى لى الأستاذ هيكل أن السيدة جيهان السادات والفريق أحمد إسماعيل انطلقا يداعبان عنى بحرارة: السيدة جيهان تبدى دهشتها من تصرف السادات مع صديق يعرفه جيدا دون سؤال والفريق أحمد إسماعيل يقول له: إننا ندرس بعض مقالاته فى الكلية الحربية.

وقال السادات: طيب هل قال لك ماذا يريد وقد رفض كما علمت تنفيذ القرار؟

قال هيكل له: لقد عرضت عليه العمل ككاتب فى الأهرام وهو عرض قديم فى الواقع وقد قبل فعلا هذا العرض.

وقال له السادات منهيا الحديث: خلاص.. زى ما أنتوا عاوزين!!

أزمة ١٩٧٢ والمنع الأول من الكتابة

بدأت عملى فى جريدة الأهرام من اليوم التالى ولم يعكر صفوى إلا أن بعض أجهزة الدولة -بناء على تعليمات بالطبع- حاولت تحريض عمال مطبعة روزاليوسف للاضراب والهتاف ضدى حتى يبدو عدم تنفيذ القرار وكأنه ليس اختيارا منى ولكن لأننى غير مقبول من العاملين فى دار روزاليوسف.. ولكن المحررين والمحررات والعمال غير المتصلين بالأجهزة واجهوا هؤلاء بالهتاف ضدهم.. وتهجم زعيم المظاهرات على زميلة من المحررات (السيدة فايزة سعد) فصممت على تقديم بلاغ ضده تتهمه بالسب العلنى وصممت على المضى فى هذا البلاغ حتى النهاية. وشهد كل الحاضرين ضده فى المحكمة وحكم عليه بالعقوبة فعلا فيما بعد.

وبدأت بعد ذلك سنوات مضطربة فى مصر بتصاعد اضطرابات الطلبة والعمال سنتى ١٩٧١ و١٩٧٢ واتسع نطاقها بشكل لم يسبق له مثيل، تلك كانت الفترة التى كان الرئيس السادات يخطب فيها باستمرار متحدثا عن المعركة، مع شعور الناس بأنه لايوجد أى شىء يدل على الاستعداد لأية معركة، وفيها كانت السنة التى سماها الرئيس السادات «عام الحسم» فلما انتهى العام ألقى خطابا غير مقنع اشتهر باسم خطاب الضباب وقال فيه إن قيام الحرب بين الهند وباكستان هو الذى منع بدء المعركة عندنا. وتصادف أن سافر وفد من جريدة الأهرام على رأسه الأستاذ محمد حسنين هيكل فى رحلة طويلة إلى الصين.

بيان توفيق الحكيم

وفى خلال تلك المظاهرات انتشرت دعوة بين عدد من الصحفيين لكتابة بيان باسم الكتاب والصحفيين .. ووافق الأستاذ توفيق الحكيم متحمسا على أن يتولى كتابة هذه الرسالة أوهذا البيان ووقع عليه بالفعل ما يقرب من مائة صحفى.. وكانت فيه فقرة لم ينسها السادات أبدا لتوفيق الحكيم بعد سنوات طويلة، كما سمعت منه وهى فقرة تقول: «لقد كثر الكلام عن المعركة دون معركة حتى صارت المعركة مضغة فى حلوقنا لا نستطيع أن نبتلعها ولا نستطيع أن نلفظها» وكان الرئيس السادات بعد ذلك بسنوات طويلة إذا جاء ذكر تلك الأيام قال لى: هذا المخرف العجوز توفيق الحكيم الذى لا أعرف ماذا يعجبكم فيه، أليس هو الذى قال إن المعركة مضغة لا نستطيع أن نبتلعها ولا نستطيع أن نلفظها؟

وبعد إرسال هذه الرسالة وعليها حوالى مائة توقيع من الكتاب والصحفيين عاد هيكل من الرحلة ووجد الرئيس السادات فى قمة

الغضب ووجد أنه قد استقر فى ذهنه أننى كنت المحرض الأول على هذه الرسالة وقد كنت بالطبع مؤيدا لها رغم أننى لم أوقعها لمرضى بأنفلونزا شديدة فى ذلك الوقت.

وبدأت الصحف تنشر أسماء الذين وقعوا على الرسالة على دفعات مع قرارات بنقلهم من الصحف إلى مصلحة الاستعلامات. ولم يكن هذا فى رأيى هو المهم ولكن الذى آلمنى حقا أن الصحف كانت تنشر أسماء أبرز وألمع كتابنا مقرونة بصفات العملاء والخونة وما إلى ذلك من صفات.

ولم أكن من بينهم ولكننى ذهبت إلى الأستاذ هيكل وقلت له من المستحيل أن يحدث هذا دون أن يصدر عنا أي صوت بالاحتجاج وقال لى هيكل ألا تعرف أن هناك رقابة على الصحف؟ وأين الرقيب الذى سيسمح بنشر احتجاجاتك؟

قلت له: أنا لا أريد أن اتخذ موقفا بطوليا ويشطبه الرقيب ولكننى أريد أن أكتب مقالا عقلانيا وهادئا جدا. فيه معنى الاحتجاج فيه اساس لفتح باب لتضميد الجراح.

وقال لى هيكل: اكتب كما تريد وسنرى رد فعل الرقيب.

شطب مقالى ونقلى للاستعلامات.

كتبت مقالا بعنوان «محايد، وهو بدلا من «العنف المتبادل» وكنت مسافرا فى الساعة الخامسة صباحا إلى لندن لالقاء ثلاث محاضرات فى كلية سانت أنطونى بجامعة اكسفورد ولكن فى الساعة الحادية عشرة ليلا وأنا احزم حقائبى دق الباب ووجدت هيكل واثنين أو ثلاثة من الزملاء، وقال لى هيكل الخبر على دفعتين. قال لى أولا إن المقال شطبه الرقيب وبعد قليل قال لى إنه صدر قرار من الرئيس بنقلى أنا أيضا إلى مصلحة الاستعلامات.

كان رد فعلى الأول أننى اتصلت بالمطار لألغى سفرى إلى لندن، مشاركة للمعاقبين المذنبين..

وقلت: إننى لن أقوم بالإجراء الشكلى وهو التوقيع على اقرار بتسلمى العمل فى مصلحة الاستعلامات وسأعتبر نفسى مفصولا.

وقد عرفت فيما بعد من الدكتور عبدالقادر حاتم أن الرقيب قرأ له المقال على التليفون وأن الدكتور حاتم اتصل بالرئيس وقرأ له الفقرات المهمة فى المقال فرد عليه الرئيس منفعلا: ألا يكفيه أنه هو المحرض على كتابة الرسالة وأنه لم ينقل إلى الاستعلامات؟ اشطب المقال كله.

وبعد خمس دقائق دق جرس تليفون عبدالقادر حاتم وقال له الرئيس بنفس الصوت الغاضب: هل شطبت المقال؟ طيب وانقله هو ايضا إلى مصلحة الاستعلامات.

هكذا بدا وكأن كل المعرفة القديمة قد تحطمت على الصخور ولم يبق منها شىء منذ زيارتى للسادات عقب انتخابه مع الصحفيين العرب فى قصر الطاهرة، فلم اقابله قط منذ ذلك التاريخ.

ومرت شهور طويلة أو ربما سنة وكنت فى بغداد اشهد اجتماعا لاتحاد الصحفيين العرب عندما اذيع أن الرئيس السادات سيلقى خطابا مهما واجتمعنا -نحن المصريين- حول الراديو نستمع إلى الخطاب وفوجئنا بالرئيس فى خاتمة الخطاب يعلن أنه عفا عن كل الصحفيين وقرر اعادتهم إلى صحفهم.

وفى الصباح التالى سافرت مع زوجتى إلى بيروت فى طريقنا إلى القاهرة وبعد يومين فى بيروت اعلنت الإذاعات عن بدء حرب ٦ أكتوبر وعبور الجيش المصرى لقناة السويس.

وكان معنا الشاعر محمود درويش الذى يعرف العبرية جيدا فنجعله يستمع إلى الإذاعة العبرية فى إسرائيل فنجدها تقول كلاما آخر.

وفى جو هذا الارتباك كانت الطريقة الوحيدة للعودة إلى القاهرة هى ركوب طائرة شركة طيران الشرق الأوسط المتجهة إلى بنغازى ثم ركوب سيارة برا من بنغازى إلى الاسكندرية فالقاهرة.

واضطررت إلى أن اطلب إلى رئيس وزراء لبنان فى ذلك الوقت الصديق الكبير الرئيس تقى الدين الصلح أن يوجد لنا -بأية وسيلة- ثلاثة مقاعد على طائرة الغد أنا وزوجتى والزميل الصحفى اللبنانى فؤاد مطر. وبعد أربع وعشرين ساعة كنا فى القاهرة.. وبعد أيام كان الجيش المصرى قد أحرز انتصاره المشهور.